أصدر روايته الأولى «نهارات شائكة» في بيروت

ابراهيم عقرباوي: افدت من كتاب آخرين افاضوا على بياض ورقي من شذى أرواحهم وسحر ابداعهم

عمان ـ «القدس العربي»:

يعد القاص والروائي الأردني ابراهيم عقرباوي واحدا من أصحاب التجارب الابداعية الجديدة التي تبحث عن صيغ مغايرة لما هو سائد، والتي لا تركن الى شكل أدبي محدد، فمن الواضح مدى ذلك القلق الابداعي والحياتي الذي يفيض في نصوصه ويساهم في تشكيلها، ومؤخرا أصدر روايته الأولى «نهارات شائكة» عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت وعمان، ومن الملاحظ فيها ذلك الجهد في البنية والخطاب، اذ تبدو الصياغة السردية لها ناضجة ومتميزة، كما تعكس في خطابها الحالة المشظاة للانسان العربي واغترابه في وطنه. يقول الروائي العراقي عبدالستار ناصر عنها «هذه الرواية، كما هو عنوانها تربك القارىء، لكنها في الوقت نفسه ترغمه على التفكير بأقدارنا ومصائرنا المغلقة بفراسخ من سواد مبهم، هو السواد نفسه الذي نحن فيه، لغتها مسبوكة من عبق التاريخ، تأخذ المفردات فيها دور البطولة، حريص هو المؤلف على مستوى السرد وفي ذاكرته، وربما أمام عينيه، ما كان يقرأه في الكتب المقدسة وفي معاجم المأثورات التي عاشت معنا منذ الطفولة والصبا ...».

والعقرباوي من مواليد عمان 1970، ونال بكالوريوس في الحقوق من جامعة اليرموك، وقد نشر له العديد من القصص والنصوص والقراءات في الصحف والمجلات المحلية والعربية، وهو عضو رابطة الكتاب الأردنيين واتحاد الكتاب والأدباء العرب، وقد أصدر من قبل:

مرثية السنديان ـ قصص 1997، نافذة على الفراغ ـ قصص 1999، سيرة الصباح ـ قصص ـ 2002، أحوال القلب ـ نصوص 2003. هنا حوار حول روايته الجديدة وملامح من تجربته القصصية:

■ لنبدأ من انتقالك من القصة والنصوص السردية المفتوحة الى كتابة الرواية، هل هو انتقال معقد فرضته ظروفك الابداعية أم هي هجرة دائمة وكأن القصة تمرين لكتابة الرواية؟

■ منذ يفاعتي وأنا مفتون بجمال وبهاء اللغة العربية، وكلما تقدم بي العمر ازددت شغفاً بها ولعل علاقة الغرام هذه هي الدافع والمحرض لسبر أغوارها واكتشاف درر ولآلئ بحرها الزاخر بشتى الكنوز فخرجت عن صمتي الممتد زمنا بعدما زودتني اللغة بذخيرة محبتها وطاقة ألقها، فصرت أحبر الاوراق تلو الاوراق، متلذذا بما أكتب ومستعذبا وقع المفردات على صفحة قلبي لذا انتقلت من محطة الشعر غير غاضب لعدم نضوج أبياته في تنور روحي فرحت الى القصة التي نجحت في رسم معالمها فأحببتها، لكن قلبي مال بي الى حدود النثر فدخلت رقعة النصوص المفتوحة حيث التنويعات السردية المتوزعة بين الشعر والحكاية والنصوص الوجدانية.

الا ان ازدحام المخيلة وتصارع الواقع مع الأحلام وتكاثر الهزائم والخيبات والاكتواء بنار التجارب ولد رغبة جوانية جارفة في كتابة عمل ابداعي مغاير لما سبق، فكان ان عكفت على كتابة الرواية في ظلال ملتبسة ورؤية صافية. ان هذا الانتقال هو بدافع محبتي للعربية وشغفي اللامتناهي بها بصورة أساسية أما القصة القصيرة وان كانت تشترك مع الرواية في بعض سماتها الا أنني اعتبرها مرحلة سابقة على الرواية وخطوة باتجاهها، وهناك بالطبع من يخالفني في هذا الا انني أرى أن الرواية هي اختبار حقيقي لقدرات الكاتب من حيث امتلاكه لناصية اللغة واحاطته بأدوات السرد المحكم، وكذلك تفعيل المخيلة وتوظيف تقنيات السرد التي باتت مطروقة وهذا ما لا يتوفر معظمه في القصة القائمة على التكثيف والاختزال في اللغة والحدث.

■ بالمناسبة لو أردت ان تقدم بشكل مكثف لما أنجزته في مجال القصة من اختلاف أو تماه مع التجارب السابقة لغيرك من الكتاب فماذا تقول؟

■ لكل نص أدبي بصمته الخاصة به، وليس ثمة كاتب يشبه الآخر فيما يكتب. ربما نشهد حالة تقليد أو تأثر على الساحة الأدبية لكن ليس بالضرورة ان تتجلى أمامنا نسخة طبق الأصل، اذ ان لكل فرد رؤيته ومفرداته وبيئته الثقافية التي تنعكس على ما يكتب. و أزعم أني تأثرت بشكل أو بآخر بما قرأت لكتاب قدماء ومحدثين لكنني اجزم ان نصي الأدبي كان مختلفا عن الآخر، وتكاد تلمس مغايرته لما هو ماثل وقائم على الساحة الثقافية، وكوني أفدت من أساليب وتقنيات كتاب القصة في الآداب العالمية والعربية والمحلية فهذا لا يعني البتة الوقوع في أسر التقليد والمحاكاة، فقد كتبت بجملتي السردية الخاصة بي وتجربتي الذاتية ورؤيتي الحميمة ،وهذا يتجلى فيما كتبت من قصة رمزية وتاريخية وواقعية وعجائبية.

■ لك نصوص مشتركة مع القاص جمال القيسي اضافة الى أنك أهديته روايتك الاولى فما هي القواسم الابداعية والحياتية بينكما والتي جمعتكما منذ فترة طويلة؟

■ جمال القيسي الانسان والمبدع هو صديقي ونصفي الآخر، ضمنا الصف الأول الابتدائي ،وعارفت بيننا الأحلام، وجمعنا حي واحد، ولم تفرقنا الحياة. الى طيبته أنتمي، والى رهافته ونبله ارنو، وفي واحة سكينته أسكن ولا أرتحل وان نزلت النوازل أو حلت الخطوب. تقاسمنا ما قل من أفراح وما كثر من هموم، ولم نختلف على رغيف أو جرعة ماء. ما خصنا به القدر هو الحس الانساني الشفيف، والتقينا على فكرة ما اختلفنا حولها بتعاقب الايام، وسوية درسنا (الحقوق) ومعا كنا (محامين) في أروقة قصور العدل الذي جهدنا في البحث عنه في متاهات الحياة. ساقنا القلم الى جمال وجلال بياض الورق فضمتنا رابطة الكتاب الأردنيين حينما تأبطنا كتبا صنعتها أحلامنا في ليل الأمل. تعارفنا فائتلفنا وكأننا (روحان حللنا بدنا).

جمال القيسي هو الأخ والرفيق الرفيق والصديق الصدوق، والانسان اللصيق بي حد أنفاسي و لا غرو في ذلك لأنه ببساطة هو من خبرته فألفيته مرارا وتكرارا دامع القلب على بؤس الانسانية وضياعها.

■ في روايتك «نهارات شائكة» كما في قصصك القصيرة ذلك النفس الرومانسي الحالم والتداعيات النفسية للشخصيات المشظاة والمعذبة بالعواطف والأحلام المقتولة، الى أي مدى كنت مخلصا لتصورك الشخصي بعيدا عن المخيال الروائي؟

■ مهما حاول بعض كتاب القصة أو الرواية نفي ذواتهم واقصاءها عن النص الأدبي فهي لا بد ظاهرة بصورة أو بأخرى فيما يكتبون وذلك مرده الى ان ما يصدر عن أحدهم انما هو نتاج خبرته الذاتية وثقافته المستمدة من بيئة متعينة لذا فهو يحمل شخصياته اراءه وأفكاره ورؤاه، وعليه فانني لا أنفي تأثيري الواضح على بعض الشخوص بقصد التعبير عما يدور في داخلي من وجهات نظر وأحلام وتصورات وهو أمر لا ينكره معظم الروائيين الذين كتبوا بعض أعمالهم بمحض تجربتهم الذاتية في اطار اعادة انتاج الواقع أو مقاربته.

■ الرواية أيضا بدت مخلصة لروح الروائي الأردني الراحل مؤنس الرزاز وأسلوبه السردي، فهل تعتبر أنك استفدت من تجربته لتنجز تجربتك أم أنك نبت بري لا أب له؟

■ ما من كاتب أو أديب نبت (كالسيف فردا) في أرض قاحلة لا ماء فيها ولا شمس ولا هواء، وما من أحد منهم اشتد قلمه وهو حيران لا هادي له ولا مرشد ولا دليل، والشواهد أعظم من ان تحصى. وما أنا بمنأى عن التأثر العام للاحق بالسابق، فمؤنس الرزاز بما عرف عنه من صدق وجرأة أدبية رفيعة أبدى في أكثر من مناسبة تأثره بتيسير سبول في روايته (أنت منذ اليوم) وكذلك تأثره البالغ بجيمس جويس خاصة رواية (عوليس) وفوكنر وفرجينيا وولف وغيرهم، والمسألة برمتها تعد منقبة لا مثلبة بسبب ان حركة الكون بأسره قائمة على التأثر والتأثير والتفاعل والتنوع، ولا اجدني الا راضيا حين اقف بين يدي روايات الراحل مؤنس الرزاز الاولى منفعلا بها ومتفاعلا معها وهي جديرة بالنظر لما حملته من مستوى متقدم في الشكل والتكنيك ولما انطوت عليه من بنية مطورة للنص الابداعي حتى شكلت علامة فارقة على طريق الرواية الأردنية.

وما أود ايضاحه أيضا انني افدت من كتاب آخرين افاضوا على بياض ورقي من شذى أرواحهم وسحر ابداعهم.

■ بالمناسبة كيف تعامل النقد مع تجربتك الابداعية لغاية الان أم انك مثل الكثيرين من ابناء جيلك تشكو من غياب النقد أو تجاهله؟

■ النقد والابداع ركيزتان أساسيتان من ركائز ثقافة الأمة ونهضتها ولا ينبغي ان يكونا على طرفي نقيض وانما يتوجب ان يسيرا في خطين متوازيين يرفد كل منهما الآخر، وعموما لا بد من الاعتراف بحقيقة وجود قصور للحركة النقدية في متابعة النتاجات المتنوعة للكتاب وهي بمجملها تعد جهودا متواضعة اذا ما قيست بحجم الاصدارات، وبالنسبة لي فان تجربتي حظيت بنقد لا يرقى الى المستوى المنشود وأتمنى على النقاد حين ينبرون لتناول كتاب بالنقد و التحليل ان يأخذوا بمعيار جودة النص وتميزه دون الالتفات الى أية معايير أو اعتبارات اخرى.

■ هل يجب ان يكون للأدب غاية أم يعبر عن صاحبه؟

■ قضية الالتزام في الأدب قضية قديمة جديدة وحولها ثار خلاف وتباينت الآراء و أذهب الى القول بأن العمل ايا كان جنسه يجب ان يكون لغاية وهدف وبغياب الغاية يفقد مبرره لذا اعتقد أن الأدب هو وسيلة من وسائل التوعية والتأثير والتغيير، وبالضرورة لا بد من ان تكون له وظيفة داخل مجتمع يحتاج دائما الى من يقوم مسيرته او يسهم بذلك على الأقل.

ابراهيم عقرباوي (القدس العربي)

شاهد في

الروائي محررا من تابوته!

خيري منصور *

■ ما الذي أبقاه النقد للكتابة عن نجيب محفوظ بعد أكثر من نصف قرن تنافست فيه الاطروحات الاكاديمية مع المقالات والكتب التي تتبادل وقع الحوافر؟ وهل غادر النقاد هذه المرة متردم النثر؟ أم أن نجيب محفوظ رغم غزارة ما كتب عن أعماله ينتظر كشفا يحرره من القراءات المتعاقبة والعازفة على الوتر ذاته؟

هذه اسئلة راودتني وأنا أشاهد أبطال محفوظ يتسللون الى الجنازة، ويحملون التابوت على اكتافهم، عمر الحمزاوي بسؤاله المزمن عن جدوى الوجود، ونهايته شبه الصوفية وشبه الوثنية، وعيسى الدباغ وهو يعتذر للبغي الفاضلة، ويعترف بما اقترف من الجحود والنكران، وأحمد عبدالجواد وأبناؤه وهم يتقاسمون زمنا ذكوريا، ويجسدون تجليات الباتريارکية العربية في ذلك القرن الذي استطال وثقب الألفية الثالثة، وسرحان البحيري وهو يرتدي قناع الصياد ليغوي الفريسة، سواء كانت الخادمة زهرة في بانسيون ميرامار، أو مصر ذاتها وثورتها، وسعيد مهران وهو يلوذ بالبغي ايضا من عالم يدعي الفضيلة وهو صانع الرذائل بامتياز.

أما السيد الغائب فهو الرحيمي الذي اضاع ابنه صابر في الطريق، ووجد من النقاد من يؤوله تاريخيا ليرى فيه جمال الدين الأفغاني، من خلال عدة قرائن تبدأ من لقب سيد المتكرر ومن الشعر الأسود الطويل، والقادم من كابول.

هؤلاء ليسوا وحدهم من تسللوا الى التابوت المحفوظي ليشاركوا في جنازته ثم يحولوا دون دفنه فالكاتب كما قال سارتر عن صديقه اللدود ألبير كامو لحظة رحيله ينتزع نفسه من القبر بكل مقدرة كتبها، وشخوصه يتولون بمعاولهم الخاصة اعلان قيامته!

عاش محفوظ أكثر مما أحب وتمنى لهذا قال عبارته الشهيرة التي لخصت حبه في ثلاث نقاط هي حب الناس وحب الحياة وأخيرا حب الموت، والحب الأخير يذكرنا باسطورة سيزيل كما تناولها ت، س، اليوت فهي طلبت الخلود ونسيت أن تطلب الشباب وانتهت أخيرا الى نشدان الموت.

لكن نجيب محفوظ بفائق واقعيته وفائق رؤاه غير الغنائية استشعر الموت قبل دنو الأجل، وعبر من خلال أعمال لا تزال مليئة بما يستحق التأويل الفلسفي عن هذا الشرط البشري الذي لا فكاك منه!

واذا كان كازنتزاكي قد خلق زوربا وفشل في قتله، فان محفوظ الذي خلق تلك السلالة من شخوص اشكاليين فشل هو الآخر في قتلهم.

فسرحان البحيري الذي مات مرتين وعمر الحمزاوي الذي مات ميتة وحشية تحت سماء باردة، وسعيد مهران الذي قتل في مغارة، هؤلاء لم يموتوا على الاطلاق، لهذا مكثوا لا في الحبر والورق فقط بل في الذاكرة القومية لثقافة لم تكن الرواية ذات يوم ديوانها، لكنها من خلال محفوظ على وجه التحديد ومن خلال آخرين اجترحوا آفاقا مغايرة اصبحت ديوان العرب الثاني بامتياز الى الحد الذي اصبح فيه الشعراء العرب يهاجرون من وادي عبقر الى قيعان المدن ويكتبون روايات يغار منها الشعر!

ما ان يعلن نبأ رحيل كاتب أو شاعر أو مفكر عربي حتى تقرع طبول كانت للتو صامتة، ويصبح الموت مناسبة تتجاوز في طقوسها الولادة وهذا بحدّ ذاته أمر لا بأس به، بل يعين الأحياء على احتمال موتهم المتخيل وأحيانا المنتظر اذا كانوا في حالة احتضار على تخوم الموت!

لكن ما لا نفهمه على الاطلاق هو هذا التمجيد لنجيب والتنكيل بالنجباء فوزراء الاعلام والناطقون الرسميون باسم الجنرالات، والندابات المحترفات جميعهم يتحولون في لحظة واحدة الى عشاق للأدب والفن، وعن الذين كانوا للتو يعاقبون المبدع على ابداعه ويلوحون بالتجويع والتطويع لمن لم يتأقلم مع تقاليد الاسطبل «المعولم»!

قالها ستفن سبندر عشية رحيل السياب وهو رحيل فاضح لثقافة تقضم ابناءها وأحيانا تأكلهم كما تفعل القطط!

قال: أتمنى أن أعيش انكليزيا وأموت عربيا لأن العرب شغوفون بالموتى، ويضيقون بالأحياء!

هذا بالرغم من أن حياة وموت نجيب محفوظ يشكلان ثنائية غير كلاسيكية في سيرة أدبنا وثقافتنا خلال القرن الماضي، فهو ساطع الحضور حيا وميتا، وظفر بتقدير لم يظفر به سواه على المستويات ذاتها سواء كانت محلية أو قومية أو عالمية.

لهذا فاختصار نجيب في جائزة نوبل يحرمه من عدة جوائز قد تكون أهم منها، وفي مقدمة هذه الجوائز أنه كتب روايات استحقت نوبل بعد عقدين على الأقل من كتابتها، ولم يكن عام 1988 باي مقياس هو العام الحاسم في المسار الروائي لمحفوظ الا بالنسبة لهؤلاء الذين لا يعرفون أن ما لديهم قمحا أم زؤانا الا من خلال غربال غريب، ومن غير البلاد التي نبت فيها القمح ورضعت سنابله من رحيق الأرض!

ان اكثر المثقفين العرب يتصورون انهم قرأوا نجيب محفوظ وفرعوا منه وهم في الجامعة أو في طور العذراء اذا صح لنا ان نستعير تعبيرا كهذا من عالم الاحياء ورحلة دودة القز التي يليق بها اسم آخر غير الدودة لأنها تقترن بالحرير لا باللعاب السام!

وهذا التصور ينطوي على خطأين الأول هو الاركان الى وعي البدايات والثاني هو التعامل مع النصوص الابداعية باعتبارها مساحات موضوعية محددة، وغير قابلة للتأويل، فالنص ذو وجود متعدد ولو لم يكن "برادلي" قد قال هذه العبارة لقالها شخوص روايات تهجع امكانات التأويل والقراءات المتعددة في باطن نفوسهم.

واعترف حتى لو كان هذا الاعتراف على حساب أنانية خاصة، بأن قراءتي الأخيرة لمحفوظ التي أنجزتها قبل عامين من رحيله أوضحت لي أن هناك نجيبا آخر غير الذي توهمت قراءته في الجامعة، وفي بواكير القراءات الانتشائية الأولى.

وجدت مثلا ان اسكندرية محفوظ تحتاج الى وقفة طويلة، فهي المنفى السياسي مقابل الملكوت القاهري، ويتضح هذا على نحو مباشر في ميرامار والسمان والخريف على الأقل.

وقد يصعب علي في قراءة جديدة لميرامار مثلا ان اكتب عن الرواية من خارج البانسيون فانا النزيل الثامن فيه، وقد أكون التاسع اذا أضفنا ماريانا صاحبة البنسيون الى عدد النزلاء.

اسكندرية محفوظ كوزموبوليتية، وتقدم ميرامار تجليا روائيا لهذه الرؤيا، لهذا أجاب نجيب محفوظ صديقا سأله ذات يوم عن سبب عزوفه عن السفر خارج مصر بقوله انه يذهب الى الاسكندرية، واستنتج الصديق بأن اسكندرية تعني لنجيب العالم كله وقد اختزل في كبسولة على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط!

وهناك سؤالان قلما يجهر النقد بهما حول نجيب محفوظ الاول يتعلق بموقفه من الصراع العربي ـ الصهيوني. والثاني يتعلق بموقفه الميتافيزيقي، فهو يحلق عاليا وعلى ارتفاعات شاهقة عندما يتعلق الأمر بهذين السؤالين، وحقيقة الأمر ان الاجابة على السؤالين ممكنة اذا تم استقراء محفوظ تأويليا ولم يكن هذا الاستقراء مرتهنا لأدنى تعريفات الواقعية، فواقعية نجيب محفوظ ليست ساكنة او عديمة الاجنحة، انها أحيانا واقعية الممكن، والأشبه بما علق به ناقد روسي على واقعية تشيكوف.

فالقصة التي كتبت على انها ضرب من الخيال وقعت تفاصيلها بعد نصف قرن في موسكو وكأن الكاتب كتب عما سيقع وليس عما وقع بالفعل.

هل نضيف الى الالتباسات العديدة حول قراءة محفوظ للسينما ايضا؟ بحيث يستعيض المثقفون بالأفلام عن الروايات؟

ان الأمر هنا لا يخلو من مفارقة، فاذا كان انطوني كوين هو الأشهر من زوربا عند كازانتزاكي فان يحيى شاهين أشهر من السيد أحمد عبدالجواد، وشادية أشهر من زهرة وناديا لطفي أشهر من ريري ويوسف شعبان أشهر من سرحان البحيري ورشدي اباظة أشهر من صابر الرحيمي، فالسينما تحاول تقديم تعويضات عن الخيال المفقود لكنها في النهاية تنتقي واحدا من آلاف الممكنات.

أخيرا فان نجيب محفوظ عاش قرابة القرن لكن حياته التي قطعها بجسده أقصر باضعاف من تلك التي سيقطعها بقلمه، فالتابوت حين ينام فيه أمثاله يولدون ولا أبالغ للمرة الثانية اذا قلت بأنني رأيت شخوصه وأبطاله يتسللون الى الجنازة وضاعف من هذا الاحساس مشاركة ممثلين جسدوا معظم أبطاله في السينما!!

* شاعر وكاتب من الاردن

أبعد من الكلمات

للشاعرة الأمريكية الفلسطينية سهير حمّاد

ترجمة: غازي مسعود

سهير حمّاد شاعرة أمريكية فلسطينية، نشرت إلى الآن ديوانين شعريين، الأول بعنوان «فلسطينية المولد، سوداء المولد»، والثاني بعنوان «إلهة الزعتر»، كما نشرت كتاب مذكرات بعنوان «قطرات من هذه القصة». حازت جائزة أودري مورد للكتابة التي تمنحها كلية هنتر بمدينة نيويورك، وجائزة مركز موريس للشعر العلاجي، وجوائز أخرى. كثيراً ما تقرأ شعرها في منابر قراءة الشعر والإذاعات بمدينة نيويورك. شاركت في عدة عروض مسرحية شعرية موسيقية في برودوي. وصفتها الشاعرة الأمريكية العربية، نعومي شهاب ناي، بأنها «راية شجاعة تخفق فوق رؤوس المحرومين».

(1)

أين ذهبت لغتي؟
يبحث الشاعر عن كلمات يلفّها حول هذه الأزمنة،
ليجعلها معقولة ليحيلها شعراً كي تصبح مجدية

كلمات الماضي تسكن حواراتنا
الامبراطوية والحروب الصليبية
الخطط والقرون
كل هذه الكلمات التي ألغت فكرنا من قبلُ
تهوي ثقيلة الآن
ولا وزن لها في هاوية الأخبار السيئة هذه

رأيت الصور
مرة أخرى كلمات سجن تعذيب
أتوق لكلمات أستطيع أن أكتبها
ليست بذيئة موضوعية تبدو عقلانية لمّا تُقرأ
كي لا يتوقف الناس عن قراءة هذه القصيدة القلقة
كي لا يُحرَج والداي
كي يطالب الأمريكيون بعودة أبنائهم
أتوق لكلمات أستطيع أن أكتبها
كي لا أصبح شيئاً ما قاسياً لا يتسامح
خذلتني اللغة

قيل لي أن لا أصدّق أي شيء أقرأه
ثم كل ما أقرأه
إنني وُهبت وجهي لأحتاط منه
قيل لي أن أخشى الأصباغ فهي مُثيرة
وقيل لي مراراً وتكرارا
إن العراق ليس فلسطين
وكابول ليست نيويورك

الصور
نساء اغتصبن
يُعْرَضْنَ فتيات جامحات
هذي مُسليةٌ هذي مُغَبْرِكة هذي مُسَجّلَة
رجال مقيدون
هل حقاً تعبرّ كلمات من مثل الإذلال والتعذيب
عن جسامة هذه الأفعال؟
ما الذي يحصل للذين ينجون؟
ما الذي يحصل للمسؤولين عنها؟

هايتي ليست الشيشان
تشيأباس* ليست شرقي لوس أنجلوس
العراق ليس فلسطين
يقال ذاك لي مراراً وتكراراً

وُهبت منظوراً شاملاً وعدسة وأُمرت
لا تتحركي لا تتطلعي إلى أعلى لا تنظري إلى أسفل
إنني أسقط

(2)

لا صلات هنا
لا نظراء مستنيرين
تاريخان مختلفان وشعبان مختلفان
لا تربطوا
لا تخلطوا المسائل

بلبلوا الشعب فقط

لستة وخمسين عاماً شرّعت إسرائيل
هذا النوع من السلوك
أجازت العنف باسم إله
لا يملك حُباً لنا جميعاً
إله ينحاز
إله له شعوب مفضلة ومختارة
إله يعقد صفقات كي تتشاجر الأرواح
ذاك النوع من الآلهة الذين لا يستجيبون للصلوات
ويفهمون لغة واحدة فقط
إله لا يزعج عقله البهي
بمثل هذا القُبح
قيل لي هذا هو إله أمريكا
الصور من رفح فلسطين
صور عام 1948 وعام 2004 داخل الإطار نفسه
عيونهم تقول للكاميرا
ماذا ستفعلين لهذا الألم؟
إلى أين سوف تأخذينه؟
أتستطيعين إخراجه مني؟
هذه المسافة بين العدسة والموضوعات
مليئة بتوسلات شاهد
بوعود بدولاب غير مكسور
بدرّاجات أطفال أسفل ركام كان ذات يوم بيوتا
مرحلة أخرى من النفي تُشاد
وأسقطُ
آهٍ يا فلسطين
ما الذي فينا يجعلهم يكرهوننا كثيراً؟
هذا الوجه؟ هذي العيون؟ هذا الرفض العنيد للموت؟
كم من المعاناة تستطيع أمة واحدة أن تتحمّل والعالم ينظر؟
بعض الأفواه فاغرة مشدوهة
أخرى صامتة هازئة
بينما تصرخ نسوة بصوت لا يستطيع الأحياء سماعه
كرّة أخرى؟ كرّة أخرى يا فلسطين؟

(3)

ما أتعس أن أختار بين
إنهاء احتلال أو آخر؟
قسموا وقتي وجزّأوا معلوماتي

عليّ أن أبدو أليفة أن أتظاهر باللطف مؤدبة
في الوقت الذي أريد فيه أن أمزق صدري وأفرغه من هذا الخواء
هذا الصداع نخر رأسي وبدّد أحلامي
أصدقائي قلقون لأنني لا آكل ما يكفي
عبئي ثقيل أفكر كثيراً
لا أجد من ألقي عليه هذه المسؤولية

إن لم أقل شيئاً فأنا متواطئة
إن قلت شيئاً يتم عزلي لأنني متطرفة
لأنني مُنظِّرة تشارك في مؤامرة
كما لو كانت الحرب أبداً صدفة
كما لو أن الإبادة ببساطة تقع
ما يجري يتم من أجل النفط والأرض والمياه
ما يجري خداع وقبض هواء
أصبح الفقراء مرة أخرى ذخائر في مدافع الأغنياء
ما يجري يتعلق بالنور والظلمة
لا يوجد أسود وأبيض في الإنسانية
قيل لي
فنزويلا ليست كوبا
رواندا ليست كردستان
لست المرأة التي تركع
أمام الجنود وكاميراتهم وأسلحتهم
لست الطفلة التي أطلقت
قوات الدفاع الإسرائيلية الرصاص على رأسها
لست المرأة الجائعة
المصابة بالإيدز
وتصلّي كي تعيش أكثر من أطفالها
حتى لا يصبحوا يتامى ومرضى
ويضطروا أن يدفنوها
لست الطفلة التي شاهدت
عائلتها تُجزر حتى الموت في لبنان في
السودان في نيكاراغوا
لست الأب الذي يهجر أطفاله
كي لا يسمع بطونهم الخاوية تنادي
بابا أين الخبز؟
أنا المرأة التي جهّزت ضرائبها هذه المأساة
السلطة الأمريكية لا تنطق باسم العرب
والقادة العرب لا ينطقون باسم
المرأة التي كانت هتافاتها «ليس باسمي»
بصقة ردت إليّ لأنها شعارات يرفعها المُضلَّلون في أفضل الأحوال
أنا الفتاة من بروكلين** التي قيل لها أن تهتم بما يعنيها فقط
أنا الشاعرة التي تبحث عن كلمات جديدة
وعن عالم جديد ليس المريخ

(4)

نستخدم تعبيرات عتيقة لا يمكنها التوسع لتلمس هذه الحقيقة
لم نتعلم من الماضي ما يكفينا عدم تكراره

قيل لي إن الأمور كانت دائماً هكذا
حرب ونهب
الاغتصاب أقدم من الدعارة
والدعارة أقدم أنواع السياسة
وقد سار العالم على هذا المنوال ولا يزال
القوّادون ومن يقوّدون عليهم

ترك الجنس البشري دائماً
من سقطوا خلفه

إذاً كان عليّ أن أنجو
فلا بدّ أن أتعلم من الحاضر
من المستقبل الموعود

نتعلم العيش مع الجنون
فالمرء لا يستطيع أن يكون معافى في عالم مريض
أبحرٌ في المرض فقط عالج الجراح فقط

صِلّ لأنك لست مُعْدِياً
حاول أن لا تؤذي أحداً

يقول الكبار إن الانشقاق تتم مراقبته دائماً
إن الأفكار الراديكالية سُجِّلت دائماً
لكن حتى من عاشوا على الهامش يعترفون
وهم يلهثون لم تكن الحال بهذا السوء أبداً

لا يعاني الجميع هذا صحيح
معظم الناس عطاش
قلة تسبح في برك تُزَوِّرُ صلة بالبحار
معظم الناس جياع
ألقي بعيداً بوجبات لا أحبها
تستطيع من أريكتك أن تشتري طعاماً سريعاً وتأكله
ولا تفكر بشيء إلا في الدَّين الذي حمّلته إيّاك بطاقة الائتمان
وما ستشتريه في الساعة التالية
تسوّقْ وتوقفْ عن طرح الأسئلة
لقد حسدتُ هذا الخَدَر
حتى وإن كنت أعرف أنه الانتحار الأقل نبلاً
حتى وإن كنت أعرف أن اللامبالاة جريمة من نوع آخر

* تشيأباس، مواقع أثرية لشعوب المايا والآزتك والأولم.
** بروكلين، أحد مناطق مدينة نيويورك الخمس.